

أخلاق نبوية

10

بجدة فضيلة مصورة تعني بالذلة والنجس واللعنة

في الحقيقة بفضيلة النجس للذلة

٢٩٤١ هـ - ٢٠٠٨ م



السيد مهدي الأعرجي

الشاعر النجفي المعروف

الشيخ عبد المولى الطريحي *

تمهيد:

لا ينكر أحد من فضلاء النجف وأدبائها منزلة هذا الشاعر الأعرجي الأديب الخطيب الذي غرق في نهر الفرات في الأسبوع الماضي فجأة قضاءً وقدرًا ولا راد لقضاء الله، وقد ودَّعناه الوداع الأخير، فنجع لوداعه آله وأصدقائه ومعارفه، وفجع بموته أدباء النجف وشعراؤها أجمع، وانقضى نور حياته عهداً للمثل الأعلى من الحياة الأدبية النجفية في سورة من أسمى أدبائها وشعرائها وأحلاها، بعد أن كابد في حياته الشدائد والأذى من الوجهة المادية وهو القائل:

وكان دهرى (سيويه) فكس له بالمالين تحرك وسكون
وكانني إسم مضاف دائماً ودرهمي بين السورى تنوين

مولده ونشأته:

ولد السيد مهدي في النجف سنة ١٣٢٢هـ ونشأ منذ طفولته وفيه ميل غريزي واستعداد طبيعي لتعلم المبادئ الأولية والعلوم العربية وآدابها فصار يخشى النوادي والجمعيات العلمية ويختلط معهم ويتعرف بهم ويستظهر من الشعر العربي الفصيح حتى صارت له ملكة قوية على قرض الشعر والبراعة في صناعة اللغتين الفصحى والعامية فنظم فيهما الكثير كما هو معروف عنه ومشهور لدى الأدباء وأرباب الفن، وكثيراً ما كان ينور في بحر المعاني في شعره أكثر مما يغور في بحر الألفاظ الفارغة كما قال:

* أديب فاضل، باحث متتبع، رئيس تحرير مجلة الحيرة النجفية.
عن: مجلة الدليل النجفية س ٢ ع ٣ لسنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

مما الشعر الا شعور تجشيش فيه العواطف
وخيره مما تراه عن الحقيقة كاشف

نسبه ولقبه:

ينتهي نسب شاعرنا الملقب بالأعرجي الى (عبيد الله الأعرج) الى الامام الحسين بن علي عليه السلام بسلسلة ذهبية مشهورة، فهو السيد عبد المهدي بن السيد راضي بن السيد حسين بن محمد ابن جعفر بن الشريف المرتضى الأعرجي، ومنهم (صاحب المحصول) الى آخر نسبه الشريف الذي ضمنه الشاعر في أرجوزة خاصة ذكر فيها سلسلة آبائه وأجداده الى الامام عليه السلام واليكم قوله منها:

في نسب من هاشم وضاح يعلو على السماك والضراح
من خصهم رب السماء بالشرف ولهم العدو بالفضل اعترف
وممن اتمى لذاك النسب (المرتضى) الشهم الرفيع المنصب
لسه من الأولاد سبع وهم محمد، جعفر، مهدي الاكرم
ومحسن، راض، علي، حسن، وحسن ابنه الفقيه (المحسن)
ملقب بصاحب (المحصول) وشارح [وسائل] الأصول
له مناقب يحير القطن فيها ويخرس اللسان اللسن
واتني المذكور عبد المهدي أتمى اليه في عداد الولد
أول ما أبدأ به في نسبي فانني أبدأ بالراضي أبي
نجل الحسين بن علي ذي الشيم نجل محمد بن جعفر بالكرم
نجل الشريف المرتضى والمجتبى من شرف الدين له كان أباه

بعض صفاته واحواله:

كان الشاعر الأعرجي مثلاً لوداعة الخلق وسمو النفس وطهر الضمير وصفاء القلب والتقوى والصلاح، صورة من الكمال صورت انساناً أديباً، وشاعراً فذاً، وخطيباً لساناً، اختص بخاله الخطيب المصقع والشاعر الشهير الشيخ قاسم الملا محمد الحلي فأخذ يدرسه على الخطابة المنبرية والاستظهار من المراثي البليغة الحسينية، حتى صار خطيباً معروفاً، له وقفات على الأعواد مؤثرات في القلوب حين إنشاده وإنشائه الشعر في نوادي النجف الأدبية، وجمعياتها العلمية، وحفلات الاقتران والختان، ومجالس الفواتح والمآتم الحسينية، فأكسبته شهرة واسعة

لدى جميع الطبقات النجفية، وغرست في قلوبهم حباً مفعماً بالإخلاص والتقدير عندهم بعد أن أكرسته مادة غزيرة في عالمي النظم والنثر في اللغتين الفصحى والعامية حتى غالى في نظمه بحب وطنه ومسقط رأسه، كما يظهر من قوله:

لست يا أرض (الغري) غير دارٍ للكمـال
كم تـضمنت أديباً من مشاهير الرجال
وابسن هيجاء تـراه أسدأ يوم النـزال
إنمـا الـدنيا سماء أنت فيها كالـهلال
وقوله مرتجلاً لما وقف على وادي الغري في يوم كان صافي الأديم وأشرقت الشمس على ذلك الوادي:

قد فاق لون التين رملك حينما شعت عليه الشمس يا وطني ضحى
أسكرت نفسي في هوائك سكرة ل لأن منها ما أفاق ولا صحا
وكيف تصحو أيها الشاعر بعد قولك هذا من تلك السكرة الأخيرة وقد ضحك وادي السلام في جوفه لتناجي بذلك الوادي المقدس أرواح الشعراء النجفيين الذين سبقوك بالزمن والفن والصناعة بعدما كنت واقفاً عليه معجباً من نضارته وانت القائل عن الغد:

يا ناسج الرداء أنت آمن من أن يكون كفنأ لك الردا
ولابس الثوب لتختال به قل لي متى أمنت نزعه غدا
وأنت القائل:

يا صاح ان المرء لا يعلم ما يجيء فيه غده كامسه
من داره يخرج لا يدري إلى العتبة أم إلى شفير رمسه
وقد انطبق عليك أيها الشاعر هذا المثل الذي أردت أن يكون حكمة خالدة بعد موتك وأنت القائل:

إذا انسا لم أظفر بما قد طلبته إلى وطني المحبوب من رفعة الشان
ومت فخطوا فوق قبوري أنسي إلى الآن محزون على حزن أوطني
وقد حزن عليك اليوم بعد موتك أبوك وأخوك وعمومتك وجميع أقرباتك وأهل بيتك، وأنت القائل من قصيدة عنوانها (الوطن العزيز) نشرتها مجلة العرفان السورية:

وطنني العزيز أجبـه هو شادان أنا صبـه
سلمي لعمرك سلمه أبداً وحربي حربـه
وعليكم حق له لم يقصص حتى ندبـه
وطنني الذي قد مازجت أشلاء قومي تربـه

وكانه أراد أن يجاري وياري بها قصيدة الشاعر الشهير الجواهري التي مطلعها:

وطنني الغضبيض أهابه أغبولبه وأهابه
وأنى للشاعر الأعرجي أن يفوق الجواهري أو يماثله وقد خلق هذا الشاعر النسر بوطينه
في قصيدته المذكورة في كبد السماء.

وللأعرجي في قصيدة نشرتها مجلة المرشد البغدادية في الحماسة اخترنا منها هذه الايات
الرائعة وهي قوله:

من لم يذد عن شعبه زود المحامي الأبي
ولم يمسد أفرانه بالعلم أو بالآداب
فما يغطي عاره إلا مهيل السرب
والوطن احفظ حقه ونسح عنه الأجني

وقوله من قصيدة في (وصف الشمس) وقد أبدع فيها أيما أبدع:

بدت وهي حمراء مثل الذهب فخلنا مليكاً عراء الغضب
يربك سناها الذي حولها سهاماً بدم الدجى مخضب
وما بعثت للدجى عسكراً سوى الفجر وهو قليل الأهب
فولى الدجى عاثراً بالنجوم ولم يستطع قط غير الهرب
وقد بسطت فوق وجه الثرى بساط السنى لاحتفال الغلب
ترى البشر قد حفها والبهاء كذا يقتدي من ينال الأرب

اعتزل الشاعر الأعرجي يوماً لمرض ألم به وصار لا يجتمع بأحد إلا لضرورة ماسة
تدعوه لذلك، وتنى أن يكون هزراً يفرد فوق الأشجار بألحانه العذبة وصوته الرقيق كما
يقول:

أتمنى أنسني بليلى روض وأنا حربه طليق اللسان

متخل عن جميع الناس ناء لا أرى القرد ولا القرد يرانسي
وقوله من قصيدة عنوانها (معركة الصبح والليل) مطلعها:

كر الصباح على الدجى بعموده فانساع منه هارباً بجنوده
بكيفة بيضاء يشرق نورها مذ كان نور الشمس بعض بنوده
والفجر كر على اغر كأنما نجم السماء قلادة في جيبه
وقوله من قصيدة عنوانها (كم لك يا ليل) مطلعها:

بات على غنا الهزار في الشجر يصفق النهر ويرقص الشجر
وبات ثغر الأحموان باسمأ والنرجس الغض يحده النظر
والليل بحر والهلل زورق والنجم قد طفى عليه كالدرر
أو أنه ملك من الزنج أتى وعرشه الجو وتاجه القمر

آثاره الأدبية:

للشاعر الأعرجي آثار أدبية كثيرة مخطوطة تركها لتكون بضاعة خالدة بعد موته:

- (١) ديوان شعره وقد حوى جميع أبواب الشعر العربي الفصيح.
- (٢) ديوان في الشعر العامي بجميع أنواعه (الحسكة).
- (٣) مجموعة من نثره البديع في المراسلات والمكاتبات.
- (٤) مجموعة من نظم التواريخ الشعرية وكانت له اليد الطولى فيها.
- (٥) الكلمات الحكمية والاستشهادات الشعرية جمعه من نظمه وغيره.
- (٦) أرجوزة في تأريخ مواليد الأئمة الطاهرين ووفياتهم وأولادهم وأحفادهم وما ظهرت على أيديهم من المعجزات الباهرات.